كلامٌ عن مصر القديمة

(تابع لما قبل)

لجناب المسيو جورج كاتسفليس

ولا جرم ان للمصريين منزلةً عليا بين الامم المتمدنة الغابرة فلا ينكر انهم خاضوا في كثير من العلوم حتَّى لا يزال رجال عصرنا يتعجبون من وجود مؤلَّفات لهم في الاداب والشرائع والدين وفنون الخطابة والهندسة والطب وهلمَّ جرًّا غير ان الدرجة الَّتي توصلوا اليها في هذه العلوم لم تبلغ من التقدم ما توصل اليهِ من جاء بعدهم من الامم القديمة الاوربيَّة كاليونان والرومان ومع ان المصريين كانوا كنبراس استصبح بهِ من جاء بعدهم من الشعوب القديمة الَّا انَّا نقول والتاريخ شاهد ان العلم ليس مديونًا لهم بكثير من تقدمهِ الحالي وان الفضل في ذلك لليونان والرومان السابقين في مضمار الارتقاء البشري . اما من حيث الصناعة فقد بلغ المصريون شأوًا بعيدًا وآثارهم شاهدة بذلك غير انها لا تخلو من نقص مهمٍّ اصلي فقد لاحظ العارفون ان ليس في ابنيتهم تناسب ولا في فنونهم تشكيل وان وحدة السياق علَّة يشكى منها في كلما خلَّفوهُ من الآثار

اما شرائع المصريين فكانت بالغة حد الكمال حتَّى قيل ان موسى ترجم تلك الشرائع الى اللغة العبرانيَّة ولا غرو ان في هذا القول مبالغة أتى بها من رام مناقضة التوراة وليس البحث في هذا الموضوع من متعلقات هذه المقالة على انَّا نقول كما شهد الباحثون انهُ ولئن توصل المصريون الى معرفة الحقائق معرفة نظريَّة تامة فهيئتهم الاجتماعيَّة لم تبلغ من الآداب درجة عليا

اما الكتابة المصريَّة فعلى ثلاثة انواع تعرف بالهيروغليفيَّة والهيراتيَّة والديموتيَّة . فالهيروغليفيَّة كتابة اكثر الآثار واما الهيراتيَّة والديموتيَّة فكتابة اكثر الكتب المصريَّة وهما نوع من الهيروغليفيَّة ولذلك سموها بالنوعين المختصرين وهما اسهل كتابةً منها ويظهر ان ابتداء استعمال الهيراتيَّة كان في ايام الدولة الثانية عشرة او قبلها واستعملت الديموتيَّة في القرن السابع قبل المسيح حيث قامت مقام الهيراتيَّة لسهولتها وبساطة مناهجها وكانت الهيراتيَّة والديموتيَّة تقرآن من اليمين الى اليسار واما الهيروغليفيَّة فكانت تقرأ تارةً من اليمين وتارةً من اليسار حسب اتجاه صورها وكانت تكتب خطوطًا قائمة في بعض الاحيان

ومن تنقَّد آثار مصر القديمة علم انهُ كان لكل قطرٍ من اقطارها آلهة لم يتسنَّ للعلم

بعدَ كشف ما غمض من شؤونها فما برح الباحثون يجهلون اصل تلك الآلهة وما كانت عليهِ في بادىء امرها ذلك لما طرأ عليها من التغيرات مع تمادي الازمنة وتراخي الايام ولكنّ الاغلب انها كانت منقسمةً الى ثلاث طوائف مختلفة الاصول وهي آلهة الموت وآلهة العناصر والآلهة الشمسيَّة وكان في اول الامر لكل طائفة خصائص تمتاز بها عن غيرها ثم امتزجت الخصائص بعضها ببعض اعني ان تلك الطوائف تشاركت بالخصائص بحيث لم تبقَ الواحدة مستقلةً بخصائصها حتَّى اذا مرَّت السنون وتعاقبت القرون اصبح اكثر الآلهة نحتًا من بعضها وحسبنا من ذلك ان في اكثر الاقطار اصبح كل الهٍ من الآلهة ذا اثنين توأمين تارةً ذكرين وتارةً ذكرًا وانثى الامر الذي حمل المصريين على الاعتقاد بآلهةٍ تتزوَّج من بعضها حتَّى زعموا ان لكلّ الهٍ زوجة ولكل الاهةٍ زوجًا وولدًا مساويًا لوالديهِ وان الاب والامرأة والابن ثالوث يحيط بهِ العدد الغفير من الآلهة الثانويَّة. ثم لم يكتفِ المصريون بالآلهة والإلاهات بل توغلوا في الخرافات حتَّى عبدوا الحيوانات عبادةً ربما فاقت عبادة غيرها من الآلهة ويمكن ان يستدَلَّ على ذلك بما ذكرهُ المؤرخ ديودورس في تاريخهِ حيث قال انهُ لما زار بلاد مصر وذلك في اواسط القرن الاول قبل المسيح قتل احدُ الرومان المقيمين بالاسكندريَّة هرةً فاهتاج الشعب لساعتهِ وقتل القاتل رغمًا عما كان للرومان يومئذٍ من سموّ المنزلة في البلاد المصريَّة

واعظم الحيوانات المعبودة الثور أبيس اذ كان المصريون يعتقدون ان لا اب لهُ وان امهُ حملت بهِ من شعاع نور سطعَ من السماء ولم يكن هذا الثور كبقيَّة الاثوار بل كان لهُ خصائص يمتاز بها عن غيرهِ واوّل تلك الخصائص سواد شعرهِ ووجود بقعة بيضاء مثلثة الزوايا على جبهتهِ. وزد على ذلك انهُ لم يُعبد اذا لم يرَ الكهنة على ظهرهِ صورة نسرٍ وعلى لسانهِ صورة خنفساء . . . . ودامت عبادة الاثوار اجيالاً طوالاً منذ ايام ثاني ملوك الدولة الثانية حتَّى اواسط القرن الرابع بعد المسيح وكان في بادىء الامر لكلّ ثور قبرٌ مخصوص في مزار متسع بمدينة منْف يعرف باسم سيرابيوم ثم أُقيم لها قبرٌ عمومي في اواسط ملك رعمسيس الثاني ثالث ملوك الدولة التاسعة عشرة وقد غطَّت الرمال في ما بعد تلك القبور التي لم تعد للوجود الاَّ في ايامنا هذه حين اكتشفها ماريَت بعد ان نُسيت اكثر من اربعة عشر قرنًا

ومن الامور الخليقة بالذكر في هذا البحث ان ديانة المصريين كانت على صورتين ديانة باطنة وديانة ظاهرة اما الباطنة فكانت عقيدة الخاصة والمتعلّمين الّذين اعتبروا

الآلهة كرموز عن الاله الواحد واما الظاهرة فكانت ديانة عامة الناس المشركين وهي الديانة المعروفة عند الباحثين باسم الديانة المصريّة

وقد اختلف آراء قدماء المؤرخين في تعداد طبقات الهيئة الاجتماعيّة عند المصريين فمنهم من ذهب الى انها كانت منقسمةً الى سبع طبقات وهذا رأي هيرودطس وقال آخرون ان الطبقات انما كانت خمساً لا غير وهو مذهب ديودورس وقال المؤرخ استرابون ان الهيئة الاجتماعيّة في البلاد المصريّة كانت منقسمةً الى ثلاث طبقات: الكهنة والجنود وعامة الناس والمفضّل في هذا الباب متابعة المؤرخ استرابون باعتباره ما خرج عن طبقتي الكهنة والجنود كطبقة واحدة ولكن كان ممكنًا تقسيمها الى جملة اقسام ثنويّة. واوّل هذه الطبقات واكثرها ثروةً واعظمها شأنًا طبقة الكهنة التي كان يرئسها كاهن هيكل عمّون في طيبة وكانت هذه الطبقة نفسها منقسمة الى جملة اقسام كان في مقدمتها كبراء الكهنة ثم الانبياء وهم رؤساء الهياكل والراسخون في علم ما حوته الكتب الدينيّة ثم عامة الكهنة والموكلون بموجودات الهياكل واخيرًا جمّ غفير من الناس بين الكهنوتيّة والعلمانيّة

اما قوانين تلك الطبقة ونظاماتها فقد طمست الاجيال عليها لما توالى على البلاد من الحوادث غير انهُ يُستدَل مما تسنى لاهل البحث الوقوف عليهِ ان تلك القوانين بلغت من الاتقان شأوًا بعيدًا الامر الذي جعل الكهنة في اعلى مراتب الثروة والمجد

وقد اختلف المحققون من اصحاب التاريخ فيما اذا كان يجوز للنساء ان يكنّ كاهنات فقال هيرودطس انهُ لم تكن كاهنة في البلاد المصريّة واستدلّ على ذلك من ان كلمة الهيروغليف الموضوعة لكلمة كاهن لم تكن قابلة للتأنيث وزعم آخرون ضد ذلك على ان هيرودطس نفسهُ تكلم عن نساء مقدسات مخصصات لهيكل عمون في طيبة وزد على ذلك ان لفظ كاهنة مسطر على حجر رشيد والاغلب في ذلك انهُ لم يسمح للنساء ان يكنّ كاهنات بل كنّ منذ القِدَم موكّلات ببعض وظائف مختصة بالهياكل وان من الشرائع التي جاء بها الملوك المكدونيون ما وسع نطاق الشريعة القديمة واجاز للنساء ان يصلنَ من الكهنوت الى درجة محدودة. واما طبقة الجنود فيظهر مما ذكرهُ هيرودطس ان عددها كان اكثر من مليونين اذ قال ان عدد العساكر التي كانت تحت السلاح اربع مئة وعشرة آلاف جندي وزاد ديودورس على ذلك فزعم ان عدد تلك العساكر كان ست مئة وتسعين الفًا الامر الذي يُستدل منهُ ان عدد تلك الطبقة كان ثلاثة ملايين ونصف مليون وهنا بحثٌ هل كانت الدولة المصريّة قادرة على ابقاء هذا العدد تحت السلاح فان ذلك يثقل على كثير من

الدول في ايامنا هذه والصحيح كما قاله بعض الثقات ان في الرأيين مبالغة وان ظروف الحال لم تكن محوجة الى ابقاء هذا العدد تحت السلاح

ويظهر ان عساكر المصريين كانوا على الاكثر مشاة وان المشاة كانوا منقسمين الى قسمين مختلفين كان لكل منهما اسلحة يمتاز بها عن غيره فكان عساكر القسم الاول يلبسون دروعًا ويحملون تروسًا وكانت اسلحتهم الرماح والفؤوس والسيوف المستقيمة والمحنية والقدائم وكان الآخرون يلبسون في بعض الاحيان خوذًا خفيفة ويتسلحون بالاقواس والنبال او الرماح. هذا ولا يمكننا ذكر شيء عن مناهج العساكر من حيث التعليم والتمرين اذ لم يقع الينا شيء من ذلك . وقد نشر اخيرًا العلامة ماسبرو صورة كتاب عن المدارس العسكرية بقلم احد معاصري الملك رعمسيس الثاني وهو غاية ما وصل اليه الباحثون في هذا الموضوع

ومن الامور الغريبة في هذا البحث عدم تشخيص الفرسان على الآثار المصرية الامر الذي يمكن ان يُستدل منه على ان فنّ الحرب على الخيول كان مجهولاً عند المصريين على ان ظواهر التاريخ معاكسة لذلك فقد ذكر ديودورس ان عدد فرسان الملك سيزوستريس كان اربعة وعشرين الفًا وقيل ان عمازيس قاد جيوشه على ظهور الخيل وزد على ذلك ان في التوراة ذكر فرسان المصريين الذين جاء ذكرهم ايضًا في النصوص الهيروغليفية حتّى قيل ان قيادة الفرسان كانت منصبًا مهمًا يتقلده اولاد الملك. والاغلب في ذلك ان الخيول لم تُعرف في مصر قبل الفراعنة الرعاة وان المصريين لم يستخدموها فيما بعد كثيرًا ذلك لعدم اعتيادهم عليها ولظنها غير مناسبة للهجوم وعلى كل حال فالحقيق انها استخدمت لجر المركبات في الحروب وان استخدامها لغير ذلك ما زال مشكوكًا فيه

وقد استُعملت الاعلام كثيرًا عند المصريين وانما كان القصد بذلك معرفة مراكز الكتائب في ساحات القتال على ان اعلام المصريين لم تكن كاعلام المتأخرين بل كانت على الاكثر رموزًا دينيّة الامر الذي جعل المصريين يدعون كتائبهم باسم آلهتهم ككتائب الملك رعمسيس الثاني التي كانت تعرف باسم عمون ورا وفتاه وسبت وهلمّ جرًّا ولا يمكننا المقام من وصف ما توصل اليه المصريون في فن الحرب فضلاً عن انهم لم يبلغوا بذلك شأوًا بعيدًا فان اشدود قاومت المصريين تسعًا وعشرين سنة واورشليم فُتحت مرّة واحدة بعد ان حصنها داود ويظهر ان ذلك كان بالتسليم وليس بالهجوم

وقد ظهر لاهل البحث ان المصريين الاقدمين لم يعرفوا فدية الاسرى بالمال او غيره بل ذهب بعض المورخين الى ان الملوك كانوا يفتكون بكبار الاعداء بعد اسرهم واستدلوا

على ذلك من ان على الآثار المصريّة صورًا عديدة تدل على ذلك وقال آخرون ان تلك الصوَر لم تكن الاَّ رموزًا وانما باخة المصريون من التمدن كان امرًا مانعًا لارتكاب تلك الجرائم والصحيح ان هذا بحث لم تزل اسراره مكنونة في صدور الايام فلا يمكننا في حالة التاريخ الحاضرة ايضاح ذلك عن يقين جازم

منشأ الحياة

بقلم جناب لويس أفندي بدور

اذا قطعنا اليد ونظرنا اليها نراها ميتة بعد ان كانت حيّة فكيف ذهبت الحياة منها ولم تذهب من سائر الجسم فاننا نراهُ باقيًا حيًّا قائمًا بوظائف الحياة كما كان قبلاً فكأنّ اليد ليست مقرّ الحياة . واذا قطعنا الرأس تذهب الحياة بتمامها من الجسم فهل الرأس مقرّ الحياة واذا كان الامر كذلك فلمَ تذهب الحياة اذا نزعنا القلب والرأس باقٍ فهل القلب مقرّ الحياة قيل ان الحياة بالدم اذ لا حياة بدونهِ فما قولنا بغريق لم يفقد رأسهُ ولا قلبهُ ولا دمهُ ولا عضوًا من اعضائهِ فاين الحياة اذًا واين مقرها تلك مسألة ذات شأن اشغلت عقول الفلاسفة والعلماء مدة احقاب طوال وهم لا يزالون يحثون ركاب السعي والبحث وراء غرائب غوامضها وخبايا دقائقها حتّى انجلت لهم امور كثيرة كادت تكشف الغطاء عن حقيقة امرها

فمسألة الحياة في ايامنا الحاضرة مختلفة جدًّا عما كانت عليهِ قبلاً لان العلماء بتأملاتهم واختباراتهم توصلوا الى الوقوف على اشياء شتى كانت مجهولة من قبل فهم لا يختلفون الآن في ان قوة العضويات ليست ناتجة عن قوة حيويّة فيها بل هي كباقي القوى الطبيعيّة جزء من تلك القوة العامة الموجودة في العالم فكل حرارة وحركة في الحيوان ليست سوى فرع من تلك القوة المتصلة بعالمنا من الشمس وقد انتقلت على هذا الاسلوب —

ان النبات يتمكن من استخدام نور الشمس لبنائهِ من المركَّبات البسيطة الماء والحامض الكربونيك والامونيا وذلك بواسطة المادة الموجودة فيهِ المسماة بالكلوروفيل ومعلوم في الطبيعيات ان بناء مركب كياوي من اجسام بسيطة لا يتم الاَّ باجراء قوة كما انهُ لا يتم بناء بيت ولا وضع حجر فوق آخر الاَّ بقوة وهي تبقى مختفية الاَّ انهُ يمكن استخصالها واظهارها بهدم البناء وتفريق الحجارة . فكل مركَّب كياوي يمكن ان يدعى مستودَع قوة . خذ نباتًا